اللغة العربية قبل فجر الإسلام

أ. د. صالحة حاج يعقوب

مقدمة:

تشكّل آداب حضارة وادي الرافدين أهمية كبرى في تاريخ آداب البشرية، وعلى الرغم من أن معظم الألواح المدونة باللغة السومرية والبابلية التي جاءت إلينا لا يتجاوز عهد تدوينها بداية الألف الثاني قبل الميلاد؛ فإن هذه الآداب المدونة ترجع إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. وإذا قارنا قِدَم الآداب البشرية وجدنا أنها تسبق في زمن تدوينها جميع ما أنتجه الفكر البشري. وبالنسبة إلى مصر القديمة مثلاً لم يصلنا من أدبها الشيء الكثير لاسيما من عصر الأهرامات، وهو عصر ازدهار الحضارة المصرية ونضجها. وقد اكتشف الآثاريون حديثاً في «أوغاريت» المدينة الكنعانية أدباً كنعانياً يرقى تاريخه إلى حدود ١٤٠٠ قبل الميلاد، أي إلى ما بعد العهد الذي دُوِّن فيه أدب وادي الرافدين بأكثر من خمسمائة عام. ومثل هذا يقال على الأدب العبراني الذي تضمنته التوراة، فهو متأخر جداً بالنسبة إلى آدب العراق القديم؛ حيث لا يتجاوز زمن تدوين التوراة القرنين السادس والخامس قبل الميلاد. وعلى سبيل المقارنة أيضاً الإلياذة والأودسية فهما يمثلان أقدم النماذج في الأدب اليوناني. وكذلك «الريج-فيدا» (Rig Veda) الممثلة لأدب الهند القديم، و«الأفستا» (Avesta) أو الابستاق (Alabestaq) المتضمنة أدب إيران القديم. فما من هذه الآداب القديمة قد دُوِّن ما قبل النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، أي أن زمن تدوين أدب العراق القديم يسبقه بما لا يقل عن ألف عام؛ ولكنه قد وصل إلينا على هيئته غير الأصلية .١ إن اكتشاف ملحمة جلجامش المسجلة حوالي ٤٠٠٠ قبل الميلاد أمر فيه إعادة النظر، والسؤال: هل لهذا علاقة بالأدب العربي أم لا؟ وإذا كان هناك علاقة فإلى أي حدٍّ وصلت؟ وإذا لم يكن فلماذا؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تشكّل الموضوع الأساس في هذا البحث. وللأسف فإنّ قلة المصادر العربية حول تاريخ الأمم القديمة المتوافرة لدى المسلمين أدّتْ بالباحثين إلى الرجوع إلى المصادر الغربية واليهودية. وفضلاً عن ذلك، فإن معظم النقوشات في ميزوفوتاميا تم اكتشافها من قبل الغربيين، ومنهم البريطانيون والإيطاليون والنمساويون والأمريكيون، وهؤلاء من المستشرقين الذين توجّهوا لدراسة الآثار الشرقية، ومنهم جورج سميث (George Smith) البريطاني الذي درس آلاف النقوشات القديمة المحفوظة في المتحف البريطاني، وهذه النقوشات معظمها مأخوذ من نينوى القديمة٢. وقال سميت عن اكتشافه أنّ ملحمة جلجامش تعد من أحسن نماذج أدب العراق القديم٣، وهي من أكمل الملاحم القديمة حكايةً وقصةً خاصة في روايات الطوفان التي وردت في التوراة٤. لا سيما وأن معظم المؤرخين وافقوا على أن كلتا الروايتين ترجع إلى حادثة واحدة. وأن حوالي ٣٥٠٠ ألف بيت شعري في ملحمة جلجامش قد ترجم إلى اللغة الإنجليزية، ونشره بريطاني آخر هو ر.كمبل تومسن (R.Campbell Thompson) سنة ١٩٣٠م٥. هذا وقد تأخرت ترجمة روايات ملحمة جلجامش إلى العربية حتى عام ١٩٥٠م٦، حينما نشرت مقالة طه باقر وآخر في مجلة «سومر» التي اعتمدت الترجمة الإنجليزية؛ حيث سماها المؤرخون بأوديسة العراق القديم، ونصوصها الأصلية باللغة الأكادية٧ البابلية، وقد ترجمت إلى اللغة العربية سنة ١٩٥٣م. ورأى طه باقر أن هذه الترجمة العربية هي الترجمة الوحيدة من بين جميع التراجم العالمية المشهورة التي تقارب الأصل باللغة الأكادية البابلية بالنظر إلى وشائج القربي الوثيقة بين اللغتين العربية والأكادية البابلية٨.

ومن المؤسف أن ملحمة جلجامش لم تصبح مثالاً يحتذي به أبطال الأمم الأخرى، وقد صرح بهذه القضية صرح بها ب.لنسدبيجر٩ (B.Landsberger) في مؤتمر علمي بباريس عقد عام ١٩٥٨م حيث يقول:

«... أدركنا أن ملحمة جلجامش أقدم نوع من أدب الملاحم البطولة في تأريخ جميع الحضارات، وإلى هذا فهي أطول وأكمل ملحمة عرفتها حضارات الشرق الأدنى، وليس ما يقرن بها أو يضاهيها من آداب الحضارات القديمة قبل اليونان»١٠ وهذا يدل على عدم اعتراف الغربيين بأن ملحمة جلجامش كونها مصدرًا للأمم القديمة، وليست الأدوسية ولا الإلياذة لهوميروس١١. ويبدو قول كرامر له أساس عندما رأى أن الملحمة تعود إلى حادثة الطوفان المشهورة التي شغلت في هذه الملحمة فصلاً مهماً بارزاً؛ إذْ سيقف القارئ بنفسه على مدى الشبه العظيم بين روايات الطوفان لدى الأمم القديمة أطول ما ورد في التوراة، وبين رواية الملحمة لهذا الحدث الذي أثر في عقول أبناء الحضارات القديمة فاقتبست أخباره ورواياته من أدب حضارة وادي الرافدين. والذي اعتمده كرامر حول هذا الطوفان أنه كان في الأصل حادثة تأريخية واقعية حدثت في طيات الماضي البعيد١٢، وكانت من جسامة التأثير وفداحته أنها تركت أثرا بليغاً في عقول الأجيال المختلفة فتناقلتها بالروايات الشفوية وشوهت تفاصيلها التأريخية بالنظر إلى الشبه الكثيرة بين رواية الطوفان في ملحمة جلجامش وبين الطوفان في رواية التوراة١٣. غير أنها لم تحفظ للأجيال التالية، لأن الكتابة لم تكن معروفة حينئذ شأنها في ذلك شأن اللغات القديمة الأخرى التي سبقت الإشارة إليها، ومع ذلك كانوا يعتبرون أن الأدوسية والإلياذة في الآداب الإغريقية أوّل مصدر من المصادر الأخرى للأمم القديمة١٤. وقد أيّد الأديب اللبناني الأستاذ سليمان البستاني في مقدمة تعريبه لإلياذة هوميروس، الرأي القائل أن الإغريقيين لم يكونوا يكتبون، فقد كانوا يروون أشعار هوميروس روايةً لا كتابةً كما في الشعر الجاهلي، ولم تدوّن هذه الملحمة إلا بعد أن استخدموا الحروف الفينيقية، ثم نَقَلَها الإغريق إلى الأبجدية الإغريقية في القرن السادس، ومنها تولّدت معظم الأبجدية الأوروبية١٥. ومن هذه النقوش أدركنا أن آداب الأمم القديمة لها دور في الجزيرة العربية. وهناك كثير من الملامح القديمة الأخرى مما لم تذكرها الباحثة لأنها تركز على دراسة النقوشات ذات العلاقة القوية بالموضوع وحسب.

أولاً-ما المراد بآداب اللّغة القديمة ومَنْ هم أصحابها؟

لقد ذكر الأستاذ جورجي زيدان أن آداب اللغة هي «الإنتاج العقلي والشعوري للأمة في مختلف الميادين العلمية والفلسفية والأدبية عبر التاريخ ومع دوراته المختلفة»١٦، وبعبارة أخرى تاريخ آداب اللغة يُصَوِّر الجانب الحضاري للأمة في وجوه نشاطها العقلي والفلسفي والأدبي. أي أن آداب اللغة لا تقتصر على الشعر والنثر الفني وحسب بل تقف جنبًا إلى جنبٍ مع تاريخها السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وهنا سؤال: مَنْ أوّلُ مَن قال شعرًا أو اخترع الكتابة أو وضع الأعداد؟ لا خلاف ولا شك في أن الشرق أسبق إلى تدوين العلم من الغرب؛ لأنه قبل اختراع الكتابة لم تكن هناك آداب للغة. والسؤال الآخر من هي الأمة التي دَوّنت العلم أولاً؟ إن الإجابة عن هذا السؤال مهملة للغاية؛ لأن أكثر آثار العلم جاءت من الشرق: مصر والشام وما بين النهرين واليمن والحجاز وآسيا الصغرى وفارس والهند، وفيها آثار الفراعنة والأموريين والفينيقيين والآشواريين والأكاديين البابليين والمعينيين والحميريين وغيرهم.

لو رجعنا إلى تاريخ الأمم القديمة لوجدنا أن في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد استوطن الأموريون والأكاديون الساميون بلاد الفرات، وهذه أقدم الهجرات السامية من الجزيرة العربية. وبالعكس هناك من يقول أن السومريين قد استوطنوا فيها١٧. وزعم بعض الغربيين أن بلاد الإغريق كانت مركز بدء العلوم ومنبع تطور العلوم، كأنهم يريدون نفي وجود أمة أخرى قبل الإغريقيين. ولو رجعنا إلى التاريخ الإغريقي القديم سنجد أن جورجي زيدان قد قسمه إلى سبع مراحل١٨ وهي: العصر الخرافي، وعصر الأبطال (٩٠٠-٧٠٠ ق.م)، وعصر بداية التحضر (٧٠٠-٥٠٠ ق.م) والعصر الذهبي (٥٠٠-٣٢٣ ق.م)، والعصر الإسكندري (٣٢٣-١٤٦ ق.م)، والعصر اليوناني الروماني (١٤٦-٥٥٠ ب.م)، والعصر البيزنطي (٥٥٠-١٤٥٣ ب.م). وتركز الباحثة على العصر الخرافي أي ما قبل عصر الأبطال؛ حيث يعدّ أقدم أزمان الأمة

اليونانية ولم يبقَ فيها إلا القصص الخرافيّة (Mythos) عن الآلهة ونحوها. وهنا يطرح سؤال مفاده: كيف كان العالم الآخر حين كان الإغريق في عصور الظلام والعصور الخرافية؟ إن الإجابة عن هذا السؤال يحتاج إلى بيان مفهوم تطور الحضارة الإنسانية التي بدأت بوادي الرافدين، كما ذكر الأستاذ آدام فلكنشتاين في مقالته «عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية في غرب آسيا»١٩ كان محاولة في اكتشاف غرب آسيا القديم مع تسلسل الجغرافية التاريخية الكتابية في بلاد سومر. وغير ذلك مما ذكر د. أوتو ادزارد (Otto Adzard) في مقالته عن «عصر فجر السلالات»٢٠ الذي تحدث عن ٢١السومريين والساميين في عصر فجر السلالات، ومنها عن التراكيب الاجتماعية: السومريون والأكاديون والأموريون والأقوام البدوية في العصر البابلي القديم والمجتمع البابلي القديم، مثل: القصر، والمعبد، وقانون حمورابي، والآداب، والمحاولات الفكرية في العصر البابلي القديم. وأما جين بوترو فتحدثت عن الإمبراطورية السامية الأولى٢٢ فذكرت بلاد وادي الرافدين مع ما وراء بلاد بابل جنوبًا وشرقًا وشمالاً. وتحدث الأستاذ طه باقر في كتابه «حضارة وادي النيل» عن تاريخ الجزيرة العربية وبلاد الشام، وعن الساميين في بلاد الشام منهم: الأموريون والكنعانيون والفينيقيون والآراميون والعبرانيون والعهود المتأخرة٢٣. فالأموريون كانوا في بلاد الشام مع أولى الهجرات السامية الكبرى التي أطلق عليهم الأقوام السامية الغربية وأطلق على لغاتها «اللغات السامية الغربية».

ويميز المؤرخون بين هؤلاء والشعوب الشرقية التي تمثلها اللغة الأكادية وفروعها البابلية والآشورية في العراق واللغات العربية الجنوبية. وأما سكان بلاد الشام فقبل مجيء أولى الهجرات السامية إليها في الألف الثالث ق.م. أي في عصور ما قبل التأريخ التي لا يعرف المؤرخون عنهم كثيرًا٢٤. وأما الأموريون فهم أول قوم ساميين حسب أسمائهم الخاصة وأخبارهم التاريخية. ويرجح أيضًا أن الكنعانيين جاؤا إلى بلاد الشام مع الأموريين في هجرة كبرى واحدة؛ ولكن الأموريين هم الذين اشتهروا بتكوينهم دولاً مهمة قبل الكنعانيين. وأول ذكر للأموريين في أخبار ملوك وادي الرافدين جاء في أخبار الملك الأكادي المشهور سرجون مؤسس السلالة الأكادية، والمدينة المشهورة لديهم هي «تل الحريري» كانت من المصطلح السومري مكتوب بـ «مارتو» أو «ماري»٢٥ (في حدود ٢٣٥٠ ق.م). وقد تمركز الأموريون في مبدأ أمرهم في الأقسام الشمالية من بلاد الشام ثم أخذوا من بعدئذ ينتشرون في أواسط سورية وفي لبنان حتى امتدوا جنوبًا إلى فلسطين٢٦. وكانوا قد أسسوا سلالات حكمت العراق مثل سلالة بابل الأولى التي اشتهرت بملكها السادس حمورابي، ومن هذه السلالة المهمة تأسست في بلاد آشور واشتهرت بملكها «شمس- ادد» أيضًا من الساميين الغربيين حوالي ١٧٥٠ قبل الميلاد. وهناك كشَفَ المؤرخون عن البقايا المهمة في مدينة «تل الحريري» من عهد سلالتها الأمورية، كالقصر الملكي الواسع٢٧ الذي عثر فيه المنقبون على أكثر من (٢٠،٠٠٠) لوح من الألواح الطينية المكتوبة بالخط المسماري واللغة الأكادية؛ ولكن لهجتها تميل إلى السامية الغربية (الأمورية)، وهي تتضمن أنواعًا مهمة من الوثائق والسجلات الملكية؛ ومنها: الرسائل والوثائق التجارية والإدارية الخاصة بأحد ملوك سلالة «ماري» الأمورية المسمى «زمري-ليم» (١٧٣٠-١٧٠٠ ق.م)٢٨. إن الصلة قريبة بين الأموريين والكنعانيين٢٩ أو الفينيقيين كما سماهم اليونانيون؛ حيث إنهم على ما يرجح من قبيلة سامية كبرى نزحت إلى ديار الشام في هجرة واحدة، ويفسر لنا ذلك ما لاحظناه من التشابه اللغوي والقومي بين الأموريين والكنعانيين حيث يصح عَدَّ اللغتين الأمورية والمنعانية لهجتين من فروع كتلة اللغات السامية الغربية (أي اللغات السامية في سورية)٣٠.

وقد اختلف المؤرخون حول نشأتها بالدرجة الأولى في الشام حيث الثقافة الأجنبية التي أثرت في الموطن. فالأموريون تمركزوا أولاً في شمالي سورية، وكانوا أكثر تأثرًا ثقافيًّا من حضارة وادي الرافدين، حيث دخلت فيهم عناصر من السومريين والحوريين؛ أما الكنعانيون فإن حقيقة كونهم استوطنوا السواحل بالدرجة الأولى جعلتهم يتأثرون من الناحية الثقافية بحضارة مصر٣١. وأما

الآراميون٣٢ فهم مكونون من جملة عشائر وقبائل جاءت أسماء بعضها في الكتابات الملكية الآشورية وفي رسائل العمارنة٣٣ ولا سيما في عهد إخناتون. ولعل الأموريين في الفرات هم الذين أطلقوا هذا الاسم على القبائل الآرامية المتحدة٣٤. وقد حدث نزاع بين الآشوريين والآراميين سنة (٩١١-٧٤٥ ق.م) وبسبب ذلك انتقل الآراميون إلى بلاد الشام حيث أسسوا دويلات مهمة مثل «آرام-نهر ايم» أي آرام النهرين وأصبحت دولاً تجاريةً في الفرات الأوسط وما بين النهرين، وفي مدن الشام منذ نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ حيث استقروا في مواطنهم الجديدة. وهناك دويلة أخرى لديهم سميت بـ «فدان آرام»٣٥ وهي دولة صغيرة ومركزها «حران» ذات موقع مهم حيث يمرّ بها طريق تجاري كبير، وازدهرت فيها الثقافة الآرامية ازدهارًا كبيرًا. لقد جاء في المآثر العبرانية أن الآباء اليهود الأول جاءوا من هذه الجهة قبل استيطانهم في فلسطين؛ حيث تزوج إسحاق عليه السلام من امرأة حرانية (اسمها رفقة)، وكما أرسل ابنه يعقوب إلى حران حيث تزوج «ليئة» Leah)) و «راحيل» (Rahel) ٣٦. وفي القرن الحادي عشر ق.م. أسس الآراميون الدولة التي صارت عاصمتها في دمشق وعُرِفَتْ باسم «آرام دمشق»٣٧ . هذه الأحداث تبين لنا أن هناك صلة بين العبرانيين والأراميين، لذا وجدنا آثارًا ثقافيةً آراميةً في لغة سفر التكوين من ناحية التعابير والمفردات اللغوية وظن كنوتزون(Kanutzon) أن أجداد العبرانيين كانوا يتكلمون الآرامية قبل استيطانهم في فلسطين واتخاذهم اللهجة الكنعانية المحلية٣٨. ومن هذا الكلام المختصر عن تطور العالم أو الأمم الأخرى غير الإغريقية نجد أن الدول القديمة قد استوطنت وتقدمت سياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا، بل إن هناك دلائل من المنقوشات والمنحوتات كشفت عنها. وللأسف لم تعتبر المنقوشات والمنحوتات القديمة من الأدلة العلمية في تحقيق وجود تاريخ الأمم القديمة التي كانت لهم لغات آداب وكتابات شعرًا ونثرًا كما في ملحمة جلجامش، بل وإن أول الكتابات اليونانية أخذت من الشرق، أي أنها تأثرت بالكتابة الفينيقية٣٩ كما ذكر الأستاذ باري ب. باول (Barry B. Powell) بقوله: «وجاءت الكتابة السامية الغربية لتشمل فرعين: شمال غرب سامية (الفينيقية والكنعانية والعبرية والآرامية، السامرية) وجنوب غرب سامية (شمال العربية، العربية الجنوبية، الأثيوبية). في حين أن الكتابة الفينيقية هي مجموعة فرعية من الكتابة الغربية (Semitic)، بل هي أيضا شكل من أشكال الكتابة فالسامية تشهد لها نقوش كاملة...»٤٠. ومن ثم يعزّز الأستاذ باري ب. باول (Barry B. Powell) ما ذهب إليه بقوله: «هذه العبقرية من الجنس البشري اخترعت الأبجدية اليونانية من خلال التكيف مع حروف الأبجدية الفينيقية...»٤١.

من الأقوال السابقة يتضح لنا أن بداية الكتابة الإغريقية قد تأثرت باللغة الفينيقية في الشرق، بمعنى أن الكتابة اليونانية الأصلية مصدرها من اللغات السامية الغربية التي جاء بها الكنعانيون٤٢. طبعًا هناك رفض من بعض الغربيين المعتزين باللغة الإغريقية وفلسفتها؛ أما عن الموقف تجاه اللغة العربية، هل كان للعرب قبل الإسلام لغات؟ وهل لغات مثل المعينية والسبئية والحميرية والصفوية والثمودية واللحيانية وأمثالها هي لغة عربية؟ لو جاءت الإجابة بنعم، فلماذا اختلفت هذه اللغات كثيرًا عن عربية القرآن الكريم حتى عجزنا عن فهم كتاباتها كما جاءت في النقوش، وإذا كانت من لغات الأعاجم، فكيف نتأكد من هذه الحقيقة الغامضة؟

ثانياً-آداب اللغة العربية

في هذه الزاوية تركز الباحثة على بعض الأدلة التي أشارت إلى أن آداب اللغة العربية هي من أغنى الآداب السامية، كما ذكر جورجي زيدان «... بل هي على الإجمال أغنى آداب سائر لغات العالم»٤٣. وقد قسَّم تاريخ آداب اللغة العربية إلى قسمين كبيرين: آداب ما قبل الإسلام وهي عصر الجاهلية الأولى وعصر الجاهلية الثانية، وقسم ما بعد الإسلام أو ما بعد بعثة رسول الله (() إلى أعصر أو أطوار تناسب انقلاباتها السياسية أو الاجتماعية، فهناك عصر صدر الإسلام، والعصر الأموي، والعصر العباسي، والعصر المغولي، والعصر العثماني، والعصر الحديث٤٤. وفي الجاهلية الأولى قسّم علماء الساميات لغات الجزيرة إلى خمسة أقسام: أسرة اللغات الأكادية

والبابلية والأشورية، وأسرة اللغات الآرامية، وأسرة اللغات الكنعانية مثل الفينيقية والعبرية، وأسرة اللغات الحبشية، وأسرة اللغات العربية التي تنقسم إلى قسمين عامين شمالية وجنوبية يمنية٤٥. وثمة مناظرات شائعة بين المؤرخين واللغويين دارت حول الآتي: هل اللغة العربية هي من أقدم اللغات التي لم تخضع للتطور أم لا؟ وللإجابة عن هذا السؤال نحتاج إلى البحث في أصل اللغات الجزيرية، أهذه اللغة العربية هي أُمّ اللغات الجزيرية، وهل هناك لهجات مختلفة بينها؟ ولو أن هناك خلافًا في اللهجات فما هو السبب؟ ولماذا اللغات السامية الشرقية والغربية والشمالية؟. وأما كلمة «السامية» فقد عرض لها شلوزر (Schlozer) عام ١٧٨١م، للدلالة على مجموعة من اللغات التي تطورت من اللغة الآرامية والفينيقية والعبرية والعربية واليمنية والبابلية والآشورية٤٦. ويفهم من ذلك أنها لغات من نسل نوح عليه السلام٤٧. أي إن منابع هذه اللغات كلها من الجزيرة، فسمّيت باللغات الجزيرية . كما أكدت راينر (Reiner Erica) أنه في بداية التاريخ البشري سجلت اثنين من جوانب اللغات الرئيسة وهما: الأكادية، والسومرية٤٨. وهنا يطرح سؤال مفاده ما اللغة التي تكلمها آدم عليه السلام؟ كما جاء في قول تعالى: (علّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسمآء هؤلاء إن كنتُمْ صادقين((البقرة، ٣١). للإجابة عن هذا السؤال وفقًا للوي٤٩ (Raphael Loewe)، مؤرخ من بابل القديمة أن اللغة الآرامية هي اللغة التي تحدث بها آدم. وإذا تحدث آدم الآرامية، كيف يمكن أن يتلقى الأوامر مباشرة من الله باللغة العربية؟ نحو (وقلنا يآ دم اسكن أنت وزوجك الجنّة وكُلاّ منها رغدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين((البقرة، ٣٥). هل من الممكن – كما يؤكد بعض المؤرخين – أن اللغة الأولى للبشرية كانت العربية؟ ولماذا تحدث آدم باللغة الآرامية–كما زعم بعض المستشرقين– وهي لغة أحفاد نوح عليه السلام؟ وأنه من ذريته. وكما هو معلوم هم خمسة مشهورون: (لود) أمور، عشور، إيلام وأرفخشد، أرام٥٠، ولماذا لم يتكلم آدم عليه السلام لغة سام الذي من أبناء نوح الأكبر؟ كما قال رسول الله عليه والسلام (سامٌ أبو العربِ ويافِثُ أبو الروم وحامٌ أبو الحبشِ)٥١. نعتقد أن هذه الآية (البقرة: ٣٥) تخاطب آدم مباشرة وبدون واسطات وتفسيرات. وأما كرامر فيرى أن الثقافة السومرية أكثر تقدّمًا٥٢. لقد رفض وافي هذا القول ويرى أن الساميين أسبقوا حوالي ٢٤٠٠ قبل الميلاد وهاجروا إلى شرق بلاد ما بين النهرين ، واستقروا في المنطقة المجاورة حول نهر دجلة التي أقيمت في مدينة آشور، وهناك جزء من المهاجرين توجهوا جنوبًا واختلطوا مع السكان الأصليين. واللغة التي وضعت من خلال عملية الهجرة هذه كانت تسمى الأكادية أو بابل الآشورية. وهناك مدن كبرى كانت لها علاقات مع مدن أخرى مثل تل العمارنة Tal Emrnah))كما دلت عليه الأدلة من الكتاب المقدس مكتوبة في كاليفورنيا الأكادية، وفي سنة ١٤١١–١٣٥٨ قبل الميلاد من المفترض أن الأكادية كانت تمثل الفرع الشرقي من عائلة اللغات السامية٥٣. وقد اتفقت رينر(Erica Reiner) (٢٠١٣م) قول الأستاذ وافي بقولها» إنها مجموعة من النصوص ثنائية اللغة حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد تتألف وتحتوي على عديد من الأخطاء النحوية في النسخة السومرية – وهي ترجمة اقتراضية (calque) على الأكادية، وهذا يشير إلى أن الصيغة السومرية أضيفت في وقت لاحق، إما بسبب الحاجة للحصول على إصدار السومرية لتلاوة الطقوس الدينية، أو ببساطة لإقراض أكثر صحة على النص٥٤. وقد اكتشف بعض المؤرخين أدلة قاطعة على أن الأكادية كانت اللغة الرسمية عندما اُكتُشِفَتْ أقراص الأكادية في غزة مكتوبة بالخط المسماري التي تضمنت العقود المتعلقة ببيع الأراضي.

بناءً على هذا الاستدلال فإن لودس (Lods) وافق على أن الكتابة المسمارية قد نشأت في كنعان من عصر العمارنة تحكم باسم النصوص الرسمية للوثائق القانونية عندما كان الآشوريون سادة بلا منازع على فلسطين، وعثر على جزء صغير من الحجر الجيري يحمل الأحرف الآشورية في السامرة صدر في عهد سرجون٥٥. وفي هذا المبحث نتبين أن استخدام مصطلح «اللغات السامية» لشلوزر (Schlozer) ذات دلالة قوية في النقاش؛ لأن كل اللغات

السامية مما ذكره كانت في الجزيرة؛ فلِمَ لم تسمَّ بلغات الجزيرة؟ وما الهدف من وراء التقسيم السامي؟ نعم، اللغات السامية نسبة إلى سام بن نوح، واللغات الحامية نسبة إلى حام بن نوح، واللغات اليافية نسبة إلى يافت بن نوح، وكلهم من منبع واحد أي «الجزيرة»٥٦، فانتشروا وهاجروا إلى أماكن متعددة شمالاً وجنوبًا وشرقًا بسبب تطوّر الحضارة الإنسانية ثقافةً ولغةً واجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا. وأما الادعاء الذي يزعم أن السومريين من أقدم الأمم القديمة أيضًا ففيه إعادة نظر، وإذ كانوا قد استوطنوا بعد المرحلة الذهبية الأكادية البابلية شيء لا يُعقل أنَّ أقدم السومريين منفردون ومنفصلون عن الأمم الأخرى! لقد قسّم الأخباريون والمؤرخون العرب إلى ثلاثة أقسام: العرب البائدة والعرب العاربة (المستعرِبة)، والعرب المستعرَبة. بقولهم، إنّ عادًا وثمودًا من العرب البائدة وأمَّا العرب العاربة فهؤلاء من أبناء يَعْرُب ومنهم قحطان وقبيلة جرهم من اليمن، ومن قبائل العمالقة٥٧ مثل الزباء وامرؤ القيس وأم الجمال وغيره من الشعراء المشهورين، وأما العرب المستعرَبة فهم أبناء إسماعيل عليه السلام، وقد جاء باسم المفعول لأن إسماعيل عليه السلام ليس من العرب دمًا، بل من العجم بسبب أن إبراهيم عليه السلام وسيدتنا هاجر ليسا من العرب، وتعلم إسماعيل عليه السلام اللغة الفصحى في قبيلة جرهم٥٨. ومن هذا التقسيم ندرك أن العرب قد استوطنوا منذ القِدم أرض الجزيرة. وقد كشفت النقوش الكثيرة التي وُجِدت في اليمن عن الكثير من المعابد والعمد والنصب والأسور، وفي شمال الحجاز كانت منازل الثموديين واللحيانيين وعلى حدود الشام٥٩.

وكانت لغة الأيام الجاهلية الثانية أرقى لغات العالم من حيث أساليبها ومعانيها وتراكيبها، فالمتكلمون باللغة الفصحى كما في القرآن الكريم والشعر الجاهلي والأمثال العربية لا يمكن أن يكون أصحابها متقدمين فيها حوالي قرن أو قرنين فقط... كما زعم بعض المستشرقين، وليس من المعقول أن يكون عمر هذه اللغة قد بلغ فقط أكثر من قرن أو قرنين. والسؤال من أين جاءت أصول اللغة العربية الفصيحة؟ وكما ذكر الأستاذ جواد علي كانت من آثار بابل أكادي وآشور، فدولة حمورابي٦٠ التي تولت أكادي بابلي وسائر العراق في القرن العشرين قبل الميلاد كالعربية٦١ ووفقاً لـ أ.ف.ل بيستون٦٢ في مقالته « The Evolution of The Arabic Language» أن العرب كانت من أسبق الأمم، فإنهم أقدم في شرائعهم وقوانينهم من شريعة حمورابي التي عُثر عليها في بلاد السوس منقوشةً بالحرف المسماري على مسلة من الحجر الأسود كانت في ١٨٠٠ ق.م.. وتضمنت شريعة متقدّمة جدًا في قوانينها تبحث فيها عن طبقات الأمة وحقوق المرأة وواجباتها والزواج والتبني والإرث وغير ذلك. حقيقة إن الحموراببين أو عمالقة العراق هم أقدم من أنشأ المدارس لتعليم الصغار على ما هو جارٍ الآن، وهي أول مدرسة في التمدن القديم أي منذ أربعة آلاف سنة، وكان فيها رقم أو أحجار منقوش عليها دروس للأطفال والأحداث في الحساب والهجاء وجداول الضرب ونحوها، واكتشفوا فيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية والأرصاد الفلكية والنصوص التاريخية والأدعية الدينية. ومن أكبر الأدلة أن المرأة كانت تتمتع بحريتها واستقلالها مثل أرقى النساء في هذا التمدن، وكن يمارسن المهن القلمية، وانتظم جماعة منهن في خدمة الدواوين والمصالح الأميرية. ومن هذا كله نستنتج أن الدولة الحمورابية هي دولة عربية تعدُّ من أسبق أمم الأرض في الشرائع وتنشيط العلم. وهذه القرون البعيدة أدّت إلى تغير في العادات واللغات والتقاليد والأقاليم والأفكار، لذا وجدنا أن العرب في الجاهلية الأولى اختلطوا بعرب الجاهلية الثانية لغةً وديناً وأدبًا وخلقًا، وذلك لأن الحمورابين كان أكثرهم حضارة وتمدّنًا يستوطنون المنازل والمدن، وأما عرب الجاهلية الثانية فمعظمهم كان من أهل البادية فلهجاتهم تختلف عن الحمورابيين. وهناك دليل آخر أن اللغة العربية كانت موجودة منذ القديم، وكان أيوب عليه السلام من العرب الأصليين٦٣ وقد أنشد شعرًا عربيًا ثم ترجم إلى العبرانية، وهذا دليل على أن العرب أسبق الأمم إلى قرض الشعر، لأنه نظم قبل الإلياذة والأوديسة لهوميروس ومهاباراتة عند الهنود٦٤. ومن هنا، يرى جورجي زيدان أن لغة الحمورابيين أو البابليين الأكاديين مثالاً للجاهلية

الأولى عند العرب، فهؤلاء من الشعوب السامية حقًا. وفي الشمال هناك نقوش كُتبت بخط المسند الجنوبي، وهي النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية من أقدم نقوش جاهلية العرب الشماليين الأولى، وبخصائص لغوية ونحوية تدل على أن تطورًا واسعًا حصل في اللغة العربية الشمالية قبل أن تجري على لسان امرئ القيس إلى العربية المضرية، والنقوش النبطية التي وُجِدتْ منذ القرن الثالث الميلاد ٢٧٠م وهي نقش أم الجمال، ونقش النمارة، ثم نقش الزباء (Zenobia) التي تقع في الجنوب الشرقي لحلب بتاريخ ٥١١م، ونقش حران اللجاء بتاريخ سنة ٥٦٨م٦٥. كما يرى الأستاذ جواد علي أنهم من العرب لحمًا ودمًا ولدوا ونشأوا في بلاد العرب، لم يردوا إليها من الخارج، ولم يكونوا طارئين عليها من أمة غريبة، وكل لغات العرب هي لغات عربية، وإن اختلفت وتباينت، وما اللغة التي نزل بها القرآن الكريم إلا لغة واحدة من تلك اللغات، التي تميزت من غيرها واكتسبت شرف التقدم والتصدر بفضل الإسلام، فصارت اللغة العربية الفصحى لغة العرب أجمعين.

وجاءت المعلومات عربية عن الكتابات القديمة التي وردت في التوراة، ومن كتب اليهودية واللاتينية واليونانية الجاهلية. وإن اختلفت عن عربية القرآن، لأنها لهجة قوم عاشوا في بلاد العرب ونبتوا فيها، وقد كان لسانهم هذا اللسان العربي المكتوب٦٦.

خاتمة:

إن اكتشافات أثر حضارة الإنسان في وادي الرافدين إشارة واضحة إلى أهمية جهود المستشرقين في إبراز المنقوشات والمنحوتات في الجزيرة العربية. نعم، دون شك لهم أهداف خاصة غير الأهداف المعلنة، بل كل المعلومات التاريخية عن الأمم القديمة هي بأيديهم، وكأنهم وحدهم هم الذين يملكون المصادر الأساسية للأمم القديمة٦٧، فأين المسلمون من هذا المجال؟! وكيف نلزم أنفسنا بأشياء ما قبل بعثة رسول الله (.؟! نعم هناك جهود عظيمة بذلتها المملكة العربية السعودية في الاهتمام بالدراسات الاستشراقية منذ عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (رحمه الله تعالى)٦٨.

من غير شك أن هناك من المسلمين من اهتموا وشغلوا أنفسهم بدراسة تاريخ الأمم القديمة، ولكن عددهم قليل جدًا ولاسيما أنهم قد تأخروا كثيرًا في ترجمة ملحمة جلجامش (أول النقوش المكتشفة) إلى اللغة العربية. كما أن المعلومات عن وادي الرافدين جاءت غير دقيقة فليس كل المستشرقين هم على مسلك واحد، بل هناك مَن يلتزم بالبحث العلمي.

ومن الواضح أن اللغة العربية هي لغة قديمة وأنها من أقدم لغات العالم القديمة. فاللغات القديمة لها تشابه باللغة العربية حاليًّا قواعداً وأصواتًا، ويبدو أنها من أسرة واحدة أو يبدو أن اللغة العربية هي أم لغات الجزيرة أو اللغات السامية وليس كما زعم سلوزر.

وللأسف فقد افترض بعض المستشرقين أن الكتابة المسمارية من أقدم تدوين للغة الأكادية واللغة السومرية. حقيقة هذه الكتابات ليست هي أقدم الكتابات في العالم، بل هناك كتابة أخرى لها مفردات أيضًا تشابه اللغة العربية وهي أسبق من الكتابة المسمارية، وكما رأى أ.ف.ل. بيستون أنها كتابة الفراتين الأوائل (Proto Euphrates) الذين عاشوا في الجنوب من نهر الفرات حوالي خمسة أو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد. وهذا الاكتشاف يؤيد كلام جورجي زيدان بأن «الجزيرة» للعرب، والعرب من الأمم القديمة فيها.

ومن نتائج البحث ما يأتي:

١-أن المستشرقين كانت لهم جهود واضحة في دراسة النقوش في جزيرة العرب بغض النظر عن أهدافهم من تلك الدراسات.

٢-أن الباحثين العرب والمسلمين قصّروا في تلك الدراسات، مما أتاح الفرصة للمستشرقين لامتلاك المصادر الأساسية للأمم القديمة ومنها أمة العرب قبل الإسلام.

٣-أشارت دراسات استشراقية عديدة إلى أن اللغة العربية لغة قديمة وتعتبر من أقدم لغات العالم.

٤-اللغة العربية هي أم لغات الجزيرة أو إنها أم اللغات السامية وهي مقولة تصح تاريخياً إلى حدٍّ بعيد.

٥-تعد الكتابة المسمارية من أقدم نظم الكتابة التي دوّنت بها بعض اللغات السامية كالأكادية.

٦-هناك أنظمة كتابة أخرى تعدّ أقدم

من الكتابة السومرية منها كتابة الفراتيين الأوائل كما ذكر بعض المستشرقين وهم قوم من العرب أيضاً.

٧-ينبغي التنويه بأن المستشرقين – وهم من غير المسلمين – ذكروا أن العرب – هم أقدم الأمم في جزيرة العرب، وقد أكّد ذلك حديثاً جورجي زيدان الذي ذكر أن «الجزيرة» للعرب منذ القدم.

الهوامش

١ S.N. Kramer، Sumerian Mythology، ١٩٦١، chapter ١، p. ٢١-٣٠.
https://keychests.com/item.php?v=ddpbjrdzaux،
ص ٥، طه باقر، ملحمة جلجامش،، www.A-Olaf.com

٢ S.N. Kramer، History Begins At Sumer، ١٩٥٩، p. ١٨٢.

٣ من أشعاره في قصة الطوفان: كما يرويها ((أوتو-نبشتم)) الخالد لجلجامش: (طه باقر، ملحمة جلجامش، من ترجمته النقوش الأصلية إلى العربية في ١٩٥٦م، ص ٨٥-٨٦)

ركب جلجامش و ((أور-شنابي)) في السفينة
انزلا السفينة في الأمواج وهما على ظهرها وفي اليوم الثالث قطعا في سفرهما ما يعادل شهرًا وخمسة عشر يومًا من السفر العادي
وهكذا بلغ ((أور-شنابي)) مياه الموت
وعندئذٍ نادي ((أور-شنابي)) جلجامش وقال له :
هيا يا جلجامش خذ مرديا وادفع به
وحذار أن تمس يدك مياه الموت
اسرع يا جلجامش وتناول مرديا ثانيًا وثالثًا ورابعًا
يا جلجامش خذ ((مرديا)) خامسًا وسادسًا وسابعًا
خذ يا جاجامش ((مرديا)) ثامنًا وتاسعًا وعاشرًا
خذ ((مرديا)) حادي عشر وثاني عشر
وبمائة وعشرين دفعة ((مردي)) استنفد جلجامش كل ((المرادي))٣
ثم شمر جلجامش عن يديه ونزع ثيابه ونشر بيديه القلوع
وكان ((أوتو-نبشتم)) قد شاهد السفينة من بعيد فناجى نفسه بهذه الكلمات :
علام دمرت ((صور الحجر)) الخاصة بالسفينة؟
ولم يركب في السفينة شخص غريب غير صاحبها؟
فإن الرجل الآخر الآتي ليس من اتباعي
(بقية النص مخروجة ولكن يتضح من السياق أن جلجامش يلتقي بجده ((اوتو-نبشتم)) فيسأله هذا عن سبب مجيئه وهي الأسئلة نفسها التي وجهتها إليها صاحبة الحانة والملاح، وقد حذفناها من الترجمة لتكررها مرتين، فيجيبه جلجامش بالأجوبة نفسها تقريبًا وقد أثبتنا ترجمتها لأن فيها بعض التغيير والزيادة) :أجاب جلجامش أوتو-نبشتم وقال له :
يا ((أوتو-نبشتم)) كيف لا تبذل وجنتاي ويمتقع وجهي
ويغفر الحزن قلبي وتتبدل هيئتي ويصير وجهي أشعثًا
كمن أنهكه السفر الطويل ويلفح وجهي الحر والقر
وأهيم على وجهي في البراري، وإن خلي وأخي الأصغر الذي طارد حمار الوحش في
البرية واصطاد النمور في البوادي
إنه أنكيدو الذي تغلب على جميع الصعاب وارتقى أعالي الجبال.
الذي مسك ثور السماء وقتله، والذي غلب ((خمبابا))
الذي يسكن غاية الأرز
صديقي وخلي الذي أحببته حبًّا جمًّا والذي صاحبني
في جميع الصعاب قد أدركه مصير البشرية.

٤ مصادر عن أخبار الطوفان ومضاهاة لبرواية البابلية لمأثر والأمم الأخرى:

a)A.Heidel، The Gilgamesh-Epic and Old Testament Parallels (Chicago)، ١٩٤٩).

b)M.david، `Le Recit du Deluge et L`Epopee de Gilgamesh` المنشور في تقرير المؤتمر السابع للمستشرقين في باريس ١٩٥٨م، المشار إليه سابقًا وفي آخر المقدمة.

c)مقالة لـ طه باقر في مجلة «سومر» ١٩٥١م.

٥S.N. Kramer، The Sumerians،

Their history، Culture and Character، ١٩٥٩، ١٨٣

٦ كما قال طه باقر «وما أنني مغتبط أن أقدم هذه الترجمة العربية إلى قرّاء العربية في العراق، وفي سائر أقسام الوطن العربي الأكبر مسجّلاً شكري وامتنائي لوزارة الإرشاد وعلى رأسها سيادة الوزير الذي حظيت هذه الترجمة لدنه بالقبول الحسن والتقدير» ثم أضاف «فقبل أن تظهر هذه الترجمة بشكلها الراهن الذي نقدمه إلى القراء كانت الفكرة أن تقدم الملحمة إلى قراء العربية وهي مترجمة بتصرف بدون التزام النقل سطرا بسطرٍ، ولكنني وجدتُ أن هذه الطريقة مع إبقائها بعرض حوادث الملحمة ووقائعها، تفقدها روعتها وأفكارها وتعبيرها الأصلية كما نظمها الشعراء القصاصون في العراق القديم قبل ما يزيد على أربعة آلاف عام مما يلقى ضوءًا كاشفًا على أقدم أساليب فكرية أدبية في العالم» طه باقر « ملحمة جلجامش» ص ٣١.

٧ فكانت اللغة الأكادية هي أولى اللغات العربية القديمة التي وجدت طريقها إلى التدوين والحفظ، فقد كان لطبيعة المواد التي استخدمت للكتابة المسمارية وهي الطين والحجر بالدرجة الرئيسية، فاللغة الأكادية شبيهة باللغة العربية وفيها عديد من الأصوات الحلقية المشددة وغيرها من الأصوات التي لا وجود لها في اللغات الأوروبية (عامر سليمان، التراث اللغوي، ص ٣٠٧، في كتاب «حضارة العراق» ج ١، ١٩٨٥م).

٨ لا يخفي على القراء أن اللغة العربية واللغة الأكادية من اللغات الساميات (واللغة الأكادية هي اللغة السامية الشرقية التي انتشرت في العراق بالدرجة الأولى وتفرّعت عنها لهجات وفروع مختلفة أهمها البابلية والآشورية. وأن كلتيهما تنتميان إلى عائلة لغوية واحدة هي عائلة اللغات السامية أي أنهما من أصل واحد فتتشابهان لذلك بمفرداتهما الأساسية وتراكيبها النحوية. ينظر (طه باقر، ص ٣١).

٩ أستاذ في علم اللغات القديمة.

١٠ البحث المهم للأستاذ ب.لنسدبيجر Landsberger B. المنشور في خلاصة أبحاث المستشرقين من جماعة «ثورو دانجان» المؤتمر السابع في باريس ١٩٥٨م والمشار إليه في آخر هذه المقدمة. (طه باقر، ص ١٠).

١١ وأيضًا يرى ب.لنسدبيجر Landsberger B. أن أول الكتابة في العالم لها المفردات اللغوية الدخيلة التي لا تنتمي إلى اللغة السومرية كما أنها ليست من اللغة الأكادية التي انتشرت في المنطقة فيما بعد ولا إلى أي من اللغات المعروفة، وافترض بأن هذه المفردات لابد أنها تعود إلى لغة كانت سائدة في المنطقة قبل استخدام اللغة السومرية واللغة الأكادية في الكتابة المسمارية، بعبارة أخرى أن هذه المفردات ما هي إلا بقايا لغة سكان القسم الجنوبي من العراق الأوائل الذين سبقوا السومريين والأكاديين للحضارة العراقية القديمة التي ازدهرت في الألف الثالث قبل الميلاد وقد عرفت آثار هؤلاء السكان من قبل الآثاريين بآثار طور العبيد أي تل العبيد الذي اكتشفت ولأول مرة آثار ترقي بتاريخها إلى الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد وهم سموا بـ الفراتين الأوائل (Proto Euphrates) ومن هذه المفردات: ملاخ (اللفظ بالحرف العربي) malah (اللفظ بالحرف اللاتيني) ملاّح (المعنى في العربية) ، يخار (اللفظ بالحرف العربي) pahar فخّار (المعنى في العربية)، لراك (اللفظ بالحرف العربي) larak (اللفظ بالحرف اللاتيني) تل الولاية (المعنى في العربية). (عامر سليمان، التراث اللغوي، ص ٢٧٣-٢٧٧، في كتاب «حضارة العراق» ج ١، ١٩٨٥م).

١٢ مصادر عن أخبار الطوفان ومضاهاة الرواية البابلية لمآثر التوراة والأمم الأخرى:

A.Heidel، The Gilgamesh- Epic and Old Testament Parallels، Chicago، ١٩٤٩، M.David، Le Rècit du Dé et L`Epopée de Gilgamesh، ، المنشور في تقرير السابع للمستشرقين في باريس ١٩٥٨ ، وكذلك مقالة للمؤلف في مجلة «سومر» ١٩٥١. انظر طه باقر ص ١٥.

١٣ المرجع السابق، ص ١٥.

١٤ Barry B. Powell، Homer and the Origin of the Greek Alphabet، ١٩٩١، pp. ٩-١٥، ١٨٧-١٨٩.

١٥ ماجد خير بك، اللغة العربية جذورها وانتشارها وتأثيرها في الشرق والغرب، ١٩٩٢م، ص ٦١.

جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ٢٠١١م، ج١ ص ١٣١٦

١٧ بعضهم يقولون إنهم شعب آري لهم حضارة وآداب قيّمة. فتعلم الأكاديون منهم البناء ووسائل الري والكتابة واختلطوا بهم وتزاوجوا فتشكل من هذا الامتزاج الشعب البابلي الذي استحدث هندسة القناطر والأقنية ونظم المقاييس والموازين. ماجد خير بك، ص ١٢.

١٨ جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج١ ص٢١-٢٢.

١٩ جين بوترو، وأوثو ادزارد، وادام فلكنشتاين، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ١٩٦٧م، ٢١-٦٤.

٢٠ المرجع السابق، ص ٦٥-٩٨، ١٣٠-١٧٢، ١٧٣-٢٥٠.

٢١

٢٢ المرجع السابق، ص ٩٩-١٣٤.

٢٣ طه باقر، حضارة وادي النيل، ١٩٥٦م، ج ١، ص ٢١٠-٣٢٠.

٢٤ المرجع السابق، ص ٢١٠-٣٢٠.

٢٥ وهي كلمة الأكادية أمورو.

٢٦ طه باقر، حضارة وادي النيل، ص ٢٣٣.

٢٧ إن هذا القصر يعد من المآثر المهمة في تأريخ حضارات الشرق الأدنى فهو قصر واسع يشتغل مساحة تقدر بنحو ستة إيكرات. ووجد فيه أكثر من ٣٠٠ حجرة زينت جدران كثير منها بصورة ملونة زاهية كما وجدت فيه عدا الساحات والمرافق الأخرى مواضع خاصة للحمامات، ووجدت في بعض الحجرات دكاك ومناضد لعلها تشير إلى المدرسة. منقول من (طه باقر، حضارة وادي النيل، ص ٢٣٥)

٢٨ حول هذه الوثائق انظر مجلة Syria xix (١٩٣٨)، xx (١٩٣٩) ، (١٩٤٨) J.R. Kupper، Archives Royales De Nari منقول من (طه باقر، حضارة وادي النيل، ص ٢٣٥).

٢٩ لا يعلم بوجه التأكيد أصل الكنعانيين، فكان يظن أن اسم «كنعان من كلمة سامية تعني الشيء الواطيء أي الأرض الواطئة بإشارة إلى موطنهم في الساحل (من جذر «كنع» وخنع») بالمقابلة مع الأراضي الجبلية العالية المحاذية لموطنهم، ولكن رأى الباحثين حديثاً يميل إلى اشتقاق اسم «كنعان» من أصل غير سامي، حيث يرون اشتقاقه من كلمة «حورية» تعني الصبغ القرمزي، إذ يبدو أن هذا الأقاليم اشتهر بصناعة هذا الصبغ لما اتصل الحوريون ببلاد سورية في القرن الثامن عشر أو السابع عشر ق.م. ومن الأصل الحوري لاسم كنعان جائتنا الصيغ المشهورة في البابلية مثل «كنخني» . والكلمة الواردة في رسائل تل العمارنة «كنخي»، والكلمة الفينيقية «كينع» والعرانية كنعان وكذلك يقال في اسم «فينيقية» (Phoenix) حيث ارتؤى اشتقاقه من الكلمة اليونانية التي تعني القرمز أو الأجوان وتشير إلى صناعة الأصباغ القرمزية التي تعني اشتهر بها الساحل. انظر Albright ،٧٩.Hitti، p in Studies in the History of Culture، ١٩٤٢، p. ٢٥، Classical Philology، xxxvi ، ١٩٤١، ١ ff. منقول من (طه باقر، حضارة وادي النيل، ص ٢٤٠)

٣٠ بالأحرى اللغات السامية الشمالية الغربية تمييزًا لها عن فرع آخر من اللغات السامية العربية يمكن تسميته بالفرع الشمالي، وهي اللهجات العربية الشمالية أما اللغات العربية الجنوبية فتصنف مع كتلة اللغات السامية الشرقية (أي مع الأكادية والبابلية والآشورية) منقول من (طه باقر، حضارة وادي النيل، ص ٢٤٠).

٣١ طه باقر، حضارة وادي النيل، ص ٢٤٠.

٣٢ ومن الآراميين فرع تغلغل إلى وادي الفرات الأسفل وعرف باسم «كلدو» وهم الكلدانيون الذين أسسوا الإمبراطورية البابلية الأخيرة.

٣٣ اسم المنطقة لها الحكومة القديمة.

٣٤ P.K. Hitti، The History of Syria، ١٩٥١، p.١٦٢.

٣٥ كلمة «فدان» مثل فدان العربية وتعني الحقل والسهل.

٣٦ ابنتي «لابان» خاله (أي أخو رفقة)، انظر (سفر التكوين ٢٤: ٤، ٢٩: ٢١).

٣٧ لقد استوطن الآراميون في دمشق في

حدود القرن الثاني عشر ق.م. حتى أن حوليات الفرعون رمسيس الثالث (١١٩٨-١١٦٧ ق.م.) تذكر دمشق بالصيغة الآرامية حيث جاء ذكرها بهيئة «ترمسكي» من الآرامية «دار-ميشق» أي قلعة أو حصن مشيق، أي لا يعلم أصل اشتقاق اسم المدينة من الاسم «ميشيق». (ماجد خير بيك، اللغة العربية جزورها، إنتشارها، تأثيرها في الشرق والغرب، ١٩٩٢، ص ٢٩).

٣٨P.Hitti، The History of Syria،p. ١٦٤.

٣٩ كما ذكرت الباحثة في مقدمة المقالة.

٤٠"West Semitic writing came to include two Branches: Northwest Semitic (Phoenician، Canaanite، Hebrew، Aramaic، Samaritan) and Southwest Semitic (North Arabic، South Arabic، Ethiopic). Derivatives of the script are still today preferred by Semitic speakers. While Phoenician writing is a sub-group of `West Semitic` writing، it is also the form of West Semitic writing which is earliest attested by complete inscriptions. Among extant Phoenician inscriptions، in a repertory of signs clearly antedating the Greek، signs appear with similar shapes to those of the earliest Greek inscriptions". Barry B. Powell، Homer and the Origin of the Greek Alphabet، p. ٩.

٤١"This genius and benefactor of mankind، who invented the Greek alphabet by adaption from the preexisting Phoenician syllabary، I will call `the adapter` A central. purpose of this study is to discover the motives of this man، whom we know by his fruits alone. Like all strong individuals who have changed the course of history، even if by accident، he surely had his reason... Since the adapter had seen Phoenician writing، he must have been in a place where Phoenician and Greeks intermingled، no doubt where there was continuing involvement between the two peoples". Barry B.Powell، Homer and the Origin of the Greek Alphabet، pp. ١٢-١٣.

٤٢ اقترح Halevy أنها اللغة للكنعانيين انظر:
D.S Margoliath، The Relation) Between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam، p. ٩.
(١٩٢٤).

٤٣ جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ١٩١١م، ص ٢٢.

٤٤ المرجع السابق، ص ٢٣.

٤٥ المرجع السابق، ص ٢٤.

٤٦ الوائلي، فقه اللغة، ١٩٨٨م، ص ٦.

٤٧ روق،Ancient Iraq ، ١٩٦٥م، ص ١٢٤.

٤٨ Reiner، Erica، `Linguistics in the Ancient Near East`، ١٩٩٠، p. ٦١

٤٩Raphael Loewe، Hebrew Linguistics. `In History of Linguistics`، ١٩٩٤، p. ١٠٣.

٥٠ سفر التكوين:١٠.

٥١ من سنن الترميذي- حدّثَنا بِشرُ بن معاذ العقديُّ- بصريٌّ حدّثن يزيد بن زُيع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسنِ عن سمرةَ بن جندب أنّ رسول الله (قال: سامٌ أبو العرب ويافثُ أبو عيسي: هذا حديثٌ حسنٌ، ويقال يافِثُ ويافثُ ويفثُ. أنظر الطبري، تاريخ الطبري، ٢٠٩/١، ٢٠١١، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٢٤. https://play.google.com/store/apps/details/id=com.nouryn.tirmizi

٥٢ Samuel Kramer، The Sumerians. their history، culture and character، ١٩٦٣ ، ص ٧٣-٢٦٩.

٥٣ الوائلي ، فقه اللغة، ١٩٨٨م، ص ٢٧.

٥٤ Erica Reiner، `Akkadian` in History of Linguistics، ١٩٩٤، pp. ٩٠-٩٨.

٥٥ Adolphe Lods. The Prophets and The Risen of Judaism، ١٩٩٦، p.٣.

٥٦المرحوم الدكتور سامي سعيد الأحمد الذي يُعدّ أوّل من استعمل اصطلاح الجزري واللغات الجزرية والأقوام الجزرية بدل السامي والسامية والأقوام السامية في بحث عنوانه (الجزرية وليس سامية) باللغة الإنكليزية، نشر في جريدة (بغداد أوبزرفر) في ٢٧ تشرين الأول ١٩٧٨، عدد ٣٢٥٩، نقلاً عن موقع (عتيدة) جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات https://www.google.com.my/#q=%D. وأما الأستاذ عبد الوهاب محمد الجبوري فسماها بلغات عاربة وليس لغات سامية http://www.atida.org/forums/showthread.php?t=١٠٤١٩. وترى الباحثة كلاهما المصطلحين أقربا إلى الصواب، ولكن الأفضل هي «الجزيرة» بمناسبة أن أقسام العرب ثلاثة فهي: البائدة والعاربة والمستعرَبة؛ وكلها في الجزيرة.

٥٧ السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، بيروت: دار الكتب العلمية، ١/٢٩، ١٩٩٨، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٧٦، ١/ ٢٩٤-٣٨٠.

٥٨ المرجع السابق، ١/٤٣٣.

٥٩ المرجع السابق، ١/٥٠-٥٢.

٦٠ لهم شريعة حمورابي أسبق ٨٠٠ سنة من شريعة موسى عليه السلام.

٦١ ماجد خير بيك، اللغة العربية جزورها، إنتشارها، تأثيرها في الشرق والغرب، ص١٦-١٧.

٦٢A.F.L. Beeston & T.M. Johnstone in the book of `Arabic Literature To The End of The Umayyad Period`، Cambridge University Press: Cambridge، ١٩٨٣، pp. ١-٢٦ .

٦٣ سفر التكوين: ١٠.

٦٤ جورجي زيدان، ص ٢٦.

٦٥ جورجي زيدان، ص ٢٦.

٦٦ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١/ ٣٣ - ٣٤.

٦٧ مازن مطبقاني، بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، جدة: المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالمي، ٢٠٠٠، ص ٧-١١ في المقدمة و ١٤.

٦٨ مازن مطبقاني، المملكة العربية السعودية في الاهتمام بالدراسات الاستشراقية، الرياض: المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالمي، ٢٠٠٥، ص ١٥-١٢٩.

المراجع العربية والإنجليزية:

١-أ.ف.ل بيستون، التقويم في النقوش العربية الجنوبية، ترجمة سعيد الغانمي، : أبو ضبي: المجمع الثقافي. ٢٠٠٩.

٢-ابن السلام الجمحي، طبقات الشعراء، بيروت: اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي. ٢٠٠٤.

٣-جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، بغداد: جامعة البغداد. ١٩٧٦.

٤-جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج ١، القاهرة: دار الهلال.٢٠١١.

٥-جين بوترو، واوثو ادزارد، وادام فلكنشتاين، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، بريطانيا: دل ناشر. ١٩٦٧.

٦-سليمان بن عبد الرحمن الذبيب، قواعد اللغة النبطية. ٢٠١١. www.kfnl.org.sa/.../Documents/.../قواعد٪٢٠اللغة٪١٢٠

٧-سليمان بن عبد الرحمن الذبيب، مدخل إلى قواعد النقوش النبطية. ٢٠٠١. www.kfnl.gov.sa/idarat/٢٠el/Nabateaen/٪alnsherklaf.htm

٨-السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٨.

٩-سعيد الغانمي، ينابيع اللغة الأولى، الإمارات العربية المتحدة: أبو ظبي، ٢٠٠٩

١٠-الطبري، تاريخ الطبري، ج١، بيروت: دار المعارف. ٢٠١١.

١١- طه باقر، ملحمة جلجامش، د.ت. www.A-Olaf.com

١٢- طه باقر، وادي النيل، ١٩٥٦.

١٣-ماجد خير بيك، اللغة العربية جزورها، إنتشارها، تأثيرها في الشرق والغرب، دمشق: دار سعد دين. ١٩٩٢.

١٤-مازن مطبقاني، المملكة العربية السعودية في الاهتمام بالدراسات الاستشراقية، الرياض: المملكة

العربية السعودية وزارة التعليم العالمي. ٢٠٠٥.
١٥-مازن مطبقاني، بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، جدة: المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالمي. ٢٠٠٠.
١٦-نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١، بغداد: جامعة بغداد. ١٩٨٥.
١٧-الوافي،على عبد الواحد، فقه اللغة، القاهرة: دار النهضة. ١٩٨٨.
.www.qudamaa.com/vb/t١٩١٣١
-١٨ html
١٩- ١٤october..http://www com?news
٢٠- http://alzaheer.wordpress. com/category
٢١- www.misbahinet.com/vb/ showthread.php
٢٢- www.alzakera.eu
٢٣- https://www.google.com. my/#q=%D
٢٤- http://www.atida.org/ forums/showthread. ١٠٤١٩=php?t

٢٥-Adolphe Lods. The Prophets and The Risen of Judaism، translated by S. H. Hooke in the History of civilization edited by C. K. Ogden، London: Routledge.١٩٩٦.
٢٦-Alfred Felix Beeston. Arabic Literature To The End of The Umayyad Period، New York: Cambridge University Press. ١٩٨٣.
٢٧-Barry B. Powell، Homer and the Origin of the Greek Alphabet، Cambridge: Cambridge University Press. ١٩٩١.
٢٨-D.S.Margoliout، The Relation Between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam، London: British Academy. ١٩٢٤.
٢٩-Georges Roux. Ancient Iraq، London: George Allen and Unwin LTD. ١٩٦٥.
٣٠-Giulio Lepschy. Linguistics in the Ancient Near East in History Of Linguistics، Longman: London. ١٩٦٥.
٣١-P.K. Hitti، The History of Syria، online at questia Library www.questia.com/ PM.qst?a=٠&d
٣٢-Raphael Loewe، Hebrew Linguistics. `In History of Linguistics` vol ١، ed. Guilio Lepschy، London: Longman، ١٩٩٤.
٣٣-Reiner، Erica، `Akkadian` in History of Linguistics، edited by Claudia Lepschy، vol ١، London & New York: Longman. ١٩٩٤.
٣٤-Reiner، Erica، `Linguistics in the Ancient Near East` in History Of Linguistic`، edited by Giulio Lepschy، London & New York: Longman. ١٩٩٠.
٣٥-Samual Noah Kramer، History Begins At Sumer، USA: Samuel Noah Kramer. ١٩٥٩.
٣٦-Samual Noah Kramer. The Sumerians، Their history، Culture and Character. US : Univ. of Chicago Press.١٩٦٣.
٣٧-S.N. Kramer، Sumerian Mythology، ١٩٦١، https:// keychests.com/item. php?v=ddpbjrdzaux